

الدرس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله : إذا أمر الله بشيء كان ناهياً عن ضده وإن نهى عن شيء كان آمراً بضده، وإذا أثنى على نفسه بنفي شيء من النقائص، كان إثباتاً للكمال المنافي لذلك النقص، وكذلك إذا أثنى على رسله وأوليائه ونزههم عن شيء من النقائص، فهو مدح لهم بما يصاد ذلك النقص، ومثله نفي النقائص عن دار النعيم، يدل على إثبات ضد ذلك.

هذه تتعلق بالأوامر والنواهي ما يأمر الله به عباده والأوامر في الكتاب والسنة كثيرة وأجلها التوحيد أمر بالتوحيد وبالصلاة والصيام الزكاة وصلة الأرحام وبر الوالدين والصدق والوفاء وغير ذلك، وأيضاً نهى الله عن أشياء في القرآن الكريم وأعظم ما نهى عنه الشرك بالله ونهى عن القتل والزنا والسرقة والكذب والغش والخيانة وغير ذلك .

والقاعدة هنا أن ما نهى الله عنه في كتابه فهو أمر بضده لأن النهي عن شيء يقتضي فعل ضده، كما أن الأمر بالشيء يقتضي ترك ضده ولهذا قال رحمه الله: إذا أمر الله بشيء كان ناهياً عن ضده .

أمر بالتوحيد وأمره بالتوحيد نهى عن ضده الذي هو الشرك

أمر بالصلاة والأمر بها نهى عن ضدها وهو ترك الصلاة وعدم إقامة الصلاة.

أمر بالصيام وهو نهى عن ضده وهو ترك الصيام، أمر بالصدق وهو نهى عن ضده الذي هو الكذب ، أمر بالعدل وهو نهى عن ضده وهو الظلم وهكذا إذا أمر الله بشيء كان ناهياً عن ضده.

قوله: وإذا نهى عن شيء كان آمراً بضده.

فإذا نهى عن الشرك فهذا أمر بالتوحيد. وهكذا النهي عن الظلم، النهي عن الغش، النهي عن الكذب، النهي عن النميمة.

فكل نهى في القرآن الكريم فالعبد مأمور بضده من الصدق والوفاء والأمانة والعدل ونحو ذلك.

وقوله رحمه الله : **وإذا أثنى على نفسه بنفي شيء من النقائص ؛ كان إثباتاً للكمال المنافي لذلك النقص.**

وهذه أيضاً قاعدة أخرى لها تعلق بالقاعدة السابقة ، القاعدة السابقة تتعلق بالأوامر والنواهي وهو الطلب ، وهذه القاعدة تتعلق بالأخبار ما يخبر الله تبارك وتعالى به عن نفسه وما ينفيه عن نفسه تبارك وتعالى .

فالقاعدة هنا أنّ كلّ ما نفاه الله عن نفسه فهو متضمّن لثبوت كمال ضد المنفي لله تبارك وتعالى وأمثلة هذا كثيرة في القرآن الكريم .

فمثلاً قول الله جلّ وعلا: **{ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ }** البقرة من الآية ٢٥٥ نفى عن نفسه النوم والسّنة وهذا يتضمّن ثبوت كمال حياته وقيوميته .

وقال تعالى **{ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ }** ق٣٨ أي من تعب، وهذا فيه كمال قوته وقدرته جلّ وعلا .

قال تعالى : **{ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ }** فصلت ٤٦ هذا فيه ثبوت كمال عدله سبحانه وتعالى .

قال تعالى: **{ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا }** مريم ٦٤ وهذا فيه ثبوت كمال علمه جلّ وعلا .

وقال سبحانه وتعالى **{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ }** فاطر ٤٤ هذا فيه ثبوت كمال قوته وقدرته جلّ وعلا .

وهكذا جميع ما نفى الله عن نفسه في القرآن الكريم يتضمن ثبوت كمال ضد المنفي؛ وذلك لأن النفي المحض الخالص ليس فيه كمال لا يكون فيه كمال إلا إذا تضمّن ثبوت كمال الضد ، لأن النفي عدم والعدم ليس بشيء وما ليس بشيء ليس بشيء كما يقال ، فلا يكون فيما نفى الله عن نفسه مدح إلا إذا كان مع إثبات كمال ضد المنفي لله جلّ وعلا .

وإذا جاء النفي وليس متضمناً لإثبات كمال الضد لا يكون مدحاً مثل إذا نفى عن شيء أمرٌ لا قدرة له عليه مثل لو قيل عن جدار إنه لا يظلم فليس هذا بمدح لأن ليس فيها معنى ثبوتي والجدار لا يظلم لأن ليس فيه إرادة وهنا فائدة وهي (أن النفي لا يكون مدحاً إلا إذا تضمّن معنى ثبوتياً) أي إثبات ضد المنفي .

مثل رجل كان يذم قبيلته التي كانت تتصف بالجبن والضعف والخور يقول:

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

وهذا على وجه الذم، وهو يريد أن يبين عجزهم وضعفهم وخورهم فليس عندهم أصلاً قدرة على شيء فهو ذم لأنه ليس فيه إثبات الضد، وعليه فإن النفي لا يكون مدحاً إلا إذا تضمن إثبات ضد المنفي، وبناء على هذا فكل نفي نفاه الله عن نفسه في القرآن الكريم فهو متضمن إثبات كمال ضد ما نفاه له تبارك وتعالى.

قوله : وكذلك إذا أثنى على رسله وأوليائه ونزّهمهم عن شيء من النقائص فهو مدح لهم بما يضاد ذلك النقص.

أيضاً هذه قاعدة فيما نفاه الله عن رسله وعن أوليائه فمثلاً نفيه جلّ وعلا عن نبيه صلى الله عليه وسلم الكذب والافتراء والسحر ونحو ذلك مما نفاه الله رسوله عنه، هذا كله يتضمن إثبات ضد المنفي فهو يتضمن إثبات صدقه وعدله ووفائه وأمانته ونحو ذلك من الصفات الكريمة المضادة لتلك الصفات المنفية .

ومثله نفي النقائص عن دار النعيم يدل على إثبات ضد ذلك .

أيضاً تجد في القرآن وفي السنة نفي نقائص عن أهل الجنة أنهم لا يتغيطون ولا يمتخطون وينفي أشياء كثيرة عنهم لكمال التنعم ودوام العطاء عليهم في الجنات ، وليس نفيًا محضاً وإنما لثبوت الضد .

فهذه قاعدة شريفة وعظيمة النفع تكسبك فهماً عظيماً للنفي في القرآن الكريم سواء النفي المتعلق بالطلب (الأوامر والنواهي)، أو النفي المتعلق بالأخبار (سواء الأخبار عن الله تعالى أو عن رسله وأوليائه أو الجنة ونعيمها).

قال رحمه الله: ومن الكليات أنه إذا وضح الحق وظهر ظهوراً جلياً ، لم يبق للمجادلات العلمية والمعارضات العملية محل بل تبطل المعارضات وتضمحل المجادلات .

وهذه قاعدة مهمّة من كليات القرآن التي دلّ عليها كتاب الله العزيز ، أنه إذا وضح الحق وظهر سواء في الأخبار ، أو في الأمور الطلبية (أمور العمل والتعبد)، فإذا ظهر للإنسان ليس له أن يتردد في قبول الأخبار ولا أن يتردد في فعل الأوامر ، أو ترك النواهي كما قال الله تبارك وتعالى {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ

أَمْرِهِمْ {الأحزاب ٣٦} بل الواجب في الأخبار الوقوف على قدم التسليم وتجاه الأوامر والنواهي المبادرة إلى الفعل والتطبيق يقول الزهري رحمه الله: «من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم» ليس للإنسان قليل العلم قاصر الفهم ضحل الاطلاع أن يعترض على حجج الله تبارك وتعالى وآياته وبراهينه، ومن الإنسان حتى يعترض على كلام رب العالمين والله تعالى يقول: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ }** الحجرات ١ أي لا تقولوا حتى يقول ولا تفعلوا حتى يأمر ، فليس للإنسان أن يقابل الأخبار بالاعتراض أو يقابل الأوامر والنواهي بالتردد وعدم القبول .

فهذه قاعدة مهمة في بيان حال أهل الإيمان مع الأمور العلمية والأمور العلمية التي في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال رحمه الله : من الكليات أنه إذا وضع الحق وظهر ظهوراً جلياً ، لم يبق للمجادلات العلمية والمعارضات العملية محل

لأن هذا في غير محله كيف يكون الأمر واضحاً وضوح الشمس بيننا لا خفاء فيه ، ثم تأتي المعارضة ، أو المجادلة ، أو التردد ، أو نحو ذلك، نعم الأمر الخفي والأمر الذي يحتاج إلى مشاورة يحتاج إلى معرفة بسلامة وجهته من عدمها هذا يكون فيه المشاورة ويكون فيه البحث كما أرشد الله رسوله عليه الصلاة والسلام قال تعالى: **{ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ }** آل عمران ١٥٩ فالأمر البين الذي فيه الآيات البينات والدلائل الواضحات فهذا لا يحتاج إلى مشاورة، فإذا ظهر الأمر واتضح وبان فليس هناك إلا العمل، ولذلك قال **{ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ }** آل عمران ١٥٩ بل الواجب سرعة المبادرة وسرعة تلقي أوامر الله تعالى بالقبول، وقد ذم الله الكفار بقوله **{ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ }** الأنفال ٦ أي يتبين له الحق وتتضح مناراته وتظهر له أعلامه ثم يجادل فيه ويعارض وينتقد وفي قرارة نفسه الحق ظاهر له، كما قال تعالى عن الكفار **{ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا }** النمل ١٤ .

وقال الله تعالى فيما ذكره عن نبيه موسى عليه السلام في قوله لفرعون **{ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ }** الإسراء ١٠٢ .

فإذا ظهرت الآيات والدلائل والبيّنات فلا مجال للمعارضات والمجادلات، والمعارضات في مثل هذه الحالة ليس من سبيل أهل الإيمان، وإنما من سبيل أهل الكفر.

قال: لم يبق للمجادلات العلمية والمعارضات العملية محل.

وهنا تلاحظ أن ما يأتي عن الله نوعان: إما علمي، أو عملي ولهذا قال أهل العلم التوحيد نوعان توحيد علمي وتوحيد عملي وأيضاً يُعبر عنه بتوحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد الإرادة والطلب، فالتوحيد العلمي الذي يطلب منا حياله الإثبات وعدم المعارضة والانتقاد، والتوحيد العملي الذي يطلب منا حياله الفعل والتطبيق وعدم التردد، فإذا ظهر الأمر العلمي، أو ظهر الأمر العملي بقيام الحجة وثبوت البرهان ووضوح الدليل لا مجال للمعارضة ولا محل للانتقاد ولذا قال الشيخ تبطل المعارضات وتضمحل المجادلات.

وبعض الناس نسأل الله لنا ولكم العافية يعترض على كلام الله ربّ العالمين كما يعترض على كلام أيّ إنسان أين العقول؟ أين الأفهام؟ أين تعظيم الله جل وعلا؟ {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً} نوح ١٣، {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} الأنعام ٩١ كيف يتعاملون مع كلام الله هذه المعاملة، كلام الله الذي {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} فصلت ٤٢ .

إذا ظهر الحق وبان فلا يجوز الاعتراض وهو في هذا المكان في غير محله بل ضلال وبهتان، وقول على الله عزّ وجلّ بلا علم وهذا من أعظم المحرمات كما قال الله تعالى {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف ٣٣ وكما قال تعالى {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً} الإسراء ٣٦

(بلغ) قال رحمه الله: ما نفاه القرآن، فإما أن يكون غير موجود، أو أنه موجود ولكنه غير مفيد ولا نافع.

هذه أيضاً قاعدة في النفي أن ما نفاه الله جلّ وعلا في القرآن على نوعين إمّا أن يكون غير موجود أي نفي لعدم وجوده وهذا الأصل في النفي أن يُنفي الشيء لعدم وجوده.

النوع الثاني في النفي: نفي الشيء لعدم فائدته، أو عدم الانتفاع به كما قال الله تعالى {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} الأنفال ٢١.

قوله: {وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} هل هو نفي لوجود السمع فيهم ؟ السمع موجود، فالنفي هنا نفي للانتفاع.

أيضاً قوله تعالى: {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا} الأعراف ١٧٩
نوع النفي هنا نفي للانتفاع .

ومر معنا بالأمس أيضاً قول الله تبارك وتعالى : {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ} المؤمنون ١٠١

فنفي النسب هنا ليس نفياً لوجوده كما معنا من قول الله تعالى {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ} ، وقال تعالى {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} الطور ٢١ فالنسب موجود من حيث الواقع. فالنفي هنا هو الانتفاع.
إذا قد يُنفى الشيء لعدم وجوده وهو الأصل، وقد ينفي الشيء لعدم الانتفاع ، وأيضاً قد ينفي الشيء لعدم اكتمال الصفات فيه، لما يقال: زيد ليس برجل وهو يقصد معان الرجولة والشهامة والمروءة.

فهذه قاعدة ذكرها الشيخ تتعلق بما نفاه الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم.

قال رحمه الله : الموهوم لا يدفع المعلوم، والمجهول لا يعارض المحقق، وما بعد الحق إلا الضلال.

هذه قاعدة ذكرها الشيخ رحمه الله وهي تتعلق بما يرد على الإنسان من الشبهات والأوهام والظنون كيف يكون تعامله معها؟ وهل يرتقي الظن والشبهة والوسوسة والشكوك والخواطر الرديئة التي تدور في خلد الإنسان وتحول في نفسه هل ترتقي إلى أن تكون معارضة للأمور اليقينية والدلائل البينات؟ الشيخ ينبه بهذه القاعدة إلى هذا الأمر فعندما يكون هناك شبهات شكوك وأوهام يرجع الإنسان إلى المحكم يرجع إلى الأمر اليقيني ، يرجع إلى برد القلوب وثلج النفوس وطمانينتها، فلا يرد المحكم إلى المتشابه ولا يرد المعلوم الواضح إلى الموهوم المشكوك فيه فهذا قلب للقاعدة، وقلب للأفهام. ففي مثل هذا الباب إذا جاءت الشبهات

فإنها ترد إلى المحكم فلا يجعل هذه الشكوك هي المعول وهي التي ترجع إليها الأمور المحكمة ، هذا معنى قوله رحمه الله الموهوم لا يدفع المعلوم .

قال رحمه الله : والمجهول لا يعارض المحقق وما بعد الحق إلا الضلال .

يعني إذا كان عندك حق واضح بيّن وما سواه اقطع أنه ضلال واجزم أنه باطل، فإذا ثبت لك الحق ثبوتاً يقينياً لا ريب فيه، فما سواه فهو ضلال. أمثّل لك بمثال ثم أدخل في بعض التفاصيل الموضّحة:

عندك يقين لا ريب فيه أن العبادة حق خالص لله وتحفظ الأدلة على ذلك {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} النساء ٣٦ ، {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} الإسراء ٢٣ {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ} البينة ونحو ذلك ، فهذا أمر محكم في قلب المؤمن أمر يقيني، أمر راسخ، أمر ثابت ، فإذا عرضت لك من بعض أهل الضلال شبهة فيها دعوة لك إلى الالتجاء إلى غير الله سبحانه وتعالى استغاثة بها أو دعاء له أو طلباً منه أو نحو ذلك فكيف يكون تعاملك في مثل هذه الحال؟ فأنت عندك المحكم الواضح فإذا جاءت الشكوك والشبهات تطرح وليس لها قيمة.

إذا كنت ليس عندك علم بصحيح الأحاديث من ضعيفها ولكنك تمشي على الجادة وتعلم أن العبادة محض حق لله تعالى وجاءك أحد الضلال ويقول لك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إذا أُعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور)) أنت لا تدري ما عندك اطلاع على الأحاديث. فهل تترك الآيات التي أنت تحفظها واليقين الراسخ التي عندك من أجل هذا الحديث الذي أورده لك هذا المورد ؟ أم أنك تقول له: أنا عندي يقين ورسوخ وطمأنينة أن العبادة خالص لله جلّ وعلا، هذا الذي جئت به ما أدري ما هو! أول مرة أسمع به.

فأنت الآن رددت هذه الشبهات إلى المحكم، بينما الواقع عند كثير ممن يضل عندما تأتي مثل هذه الشبهات يردون المحكم إليها فيعملون بهذه الشبهات فيقعون في هذا الشّرك الصراح والكفر البين البواح .

وهذا حديث باطل مكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم كذبه عليه أحد عبّاد القبور، والصُّوفية في كتبهم يتناقلونه وينسبونه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكم غرّوا بهذا الحديث

وبأمثاله جهال المسلمين، فيأتي المسكين ويدخلون عليه التعلق بالقبور يمثل هذا الحديث الباطل الكذب المفترى على الرسول عليه الصلاة والسلام، فمن كان يمشي على مثل هذه القاعدة فإنه يرتاح ولا يرد على مثل هذه الواردات

الموهوم لا يدفع المعلوم، والمجهول لا يعارض المحقق فمثلاً {وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} النساء ٣٦ وقال تعالى {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} الإسراء ٢٣ {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ} البينة ٥ هذا كله محقق ، أما "إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور" هذا مجهول عند من لا علم عنده أما عند أهل العلم فهو باطل ، أما كلامنا الآن مع الإنسان قليل العلم والله عز وجل قد أرشدنا إلى الأخذ باليقينيات كما قال تعالى {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} آل عمران ٧ .

فلاحظ طريقة الزائغين وطريقة الراسخين .

طريقة الزائغين { فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ }

وطريقة الراسخين : رد المتشابه إلى المحكم .

وقاعدة رد المتشابه إلى المحكم هذه قاعدة متينة ورصينة جداً وقد فصّل فيها وأجاد وأفاد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه "كشف الشبهات" بيّن فيه كيف يكون لك قاعدة راسخة وتأصيل مسدد بإذن الله تعالى في مجابهة الشبهات ، وعليك أن تعلم أن شبهات أهل الباطل لا حصر لها وأنت لست مكلفاً أن تحيط بشبهات أهل الباطل ، لكنك مطالب بأن تعرف الحق بدليله ويكون عندك يقين فيه وثبات عليه ، ومعرفة مجملة بالباطل وإذا تمكنت في العلم يمكن أن تقف على بعض التفاصيل لترد عليهم وتفند باطلهم أما في بداية الطلب فأنت مطالب بأن تؤصّل نفسك بمعرفة الحق بدليله ، وأن تعرف الباطل معرفة مجملة كما قال تعالى {وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} الأنعام ٥٥ أن تعرف أن هذا سبيل مجرمين وأن هذا طريق باطل وأن هذا مسلك ضلال وأن هذا مناقض لدين الله مخالف

لشرع الله ويكون عندك يقين بما أنت عليه من هدى وحقّ وعليه الدلائل الواضحات والبراهين
البيّنات من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقول الشيخ " **وماذا بعد الحق إلا الضلال** " وهذا جزء من آية وهي تعطيك تأصيلاً مباركاً
في هذا الباب يعني إذا استبان لك الحق فلا تبالي بما سواه، إذا عرفت أن هذا هو الحق وهذا
دليله فما سواه باطل وإن زخرفه أربابه وزيّنه أصحابه ، ومعلوم أن أصحاب الضلال في قديم
الزمان وحديثه يتفننون في زخرفة الباطل {وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ} البقرة ٤٢ وكم من انتشرت بين جهال المسلمين وعوامهم لأن دعاة الباطل وأئمة
الضلال زينوها لهم وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((إنّ أخوف ما أخاف على أمتي أئمة
الضلال))؛ لأن من طريقة هؤلاء تزيين الباطل . ومن طريقتهم في تزيين الباطل أن يكسّي
الباطل أسماء جميلة فالشرك لا يسمونه شركاً ويقولون نحن ندعوكم إلى الشرك بالله! لا أحد
يقبل منهم.

وإنما يعطونه اسماً آخر ، يقولون هذه وسيلة {اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ} المائدة ٣٥ ،
وهذه شفاعة وهكذا يعطونها أسماء براقّة .

أيضاً لا يقولون نحن ندعوكم إلى الربا يقولون هذه فوائد بنكية وأرباح تمشي عند الجهّال.
أيضاً لما يقولون بالنسبة للرشوة التي حرمها الله قال عليه الصّلاة والسلام: ((لعن الله الراشي
والمرتشي)) يقولون هذه إكرامية.

ولما يأتي مثلاً إلى الخمر فلا يسميها خمرأ يقولون: مشروب روحي .
وفي المقابل يضعون أسماء قبيحة على الحق وأهله حتى ينفرون الناس من الحق وحتى يمكنوا
للباطل والضلال عند الناس.

وعلى العبد دائماً وأبداً أن يلجأ إلى رب الأرض والسموات وأن يطلب منه الهداية لأن الهداية
بيد الله سبحانه وتعالى وكان صلى الله عليه وسلم يرشد أن يقول العبد في قيام الليل (اللهم
رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين
عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهديني لما اختلف فيه من الحق بإذنك: إنك تهدي من تشاء
إلى صراط مستقيم) رواه مسلم.

فالذي يهدي إلى الحق هو الله سبحانه وتعالى وهو الهادي إلى سواء السبيل فالعبد يلجأ إلى الله دائماً وأبداً ويستعين به من الفتن ومن الشرور ويسأله العصمة والسلامة من الآفات ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم والأمر بيده تبارك وتعالى .

فهنا المرأ مطلوب منه الاعتصام بالله ولزوم الجادة السيوية والصبراط المستقيم؛ ولعظم هذا المقام أمرنا في كل ركعة من كل صلاة أن نقول: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} يعني الطريق الحق الطريق الواضح، فولا هداية الله لك للصراط المستقيم تضلّ في هذه الحياة، فالإنسان يلجأ إلى الله جل وعلا ويسأله دائماً وأبداً أن يوفقه وأن يهديه صراطه المستقيم.

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.